وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية/ التأريخ
الدراسة الصباحية

# أبن الأثير واتجاه تدوين التاريخ لديه الكامل في التأريخ أنموذجاً

بحث تقدم به الطالب مهدي حسن مهدي حسن إلى مجلس كلية التربية/ قسم التاريخ لنيل درجة البكالوريوس في التأريخ الإسلامي

بإشراف الأستاذ

أ. م. د. محمد عايد الحسيني

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

الباحـــث

المبحث الأول

# أبـــن الأثيـــــر

أ- حياته ونشأته الثقافية

ب- حياته العلمية

أ- حياته ونشأته

المبحث الأول – أبن الأثير: حياته ونشأته الثقافية.

ابو الحسن بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشباني المعروف بأبن لأثير الجزري والملقب عز الدين.

ولد في جزيرة ابن عمر، إحدى مدن ديار ربيعة بالجزيرة الفراتية من اليوم الرابع من شهر جمادى الأول سنة ٥٥٥ هـ، ومن هنا عرف بالجزري اما لقبه عز الدين فأخذه جرياً على عادة عصره، حيث كان الاشخاص المرموقون من علية القوم وخاصتهم يحظون بألقاب اعتبرت علامة من علامات التقدير الاجتماعي الكبيرة، أما ابن الاثير فنسبة إلى والده الذي لقب بدوره بأثير الدين أو الاثير اختصاراً. [١]

وكما حظي علي بلقب عز الدين، انعم على اخوي هابي السعادات المبارك بلقب مجد الدين وعلى أبي الفتح نصر الله بلقب ضياء الدين دلالة على علو شأن الأسرة ورفعه قدرها في المجتمع ولدى الحكام، كانت جزيرة ابن عمر (المنسوبة إلى الحسين بن عمر التغلبي [٢] مدينة مرموقة هيأ لها موقعها على ضفة دجلة الغربية بين الموصل جنوباً وأزراً وميا فارقين شمالاً ان تغدو واحدة من المدن ذات الشأن في النشاط التجاري في أقليم الجزيرة الفراتية. ومن ثم غدت ذات الشأن في النشاط التجاري في اقليم الجزيرة الفراتية ومن ثم غدت فرضة لارمينية وبلاد الروم ونواحي ميافارقين وازرن، ومنها ينقل إلى الموصل بالمراكب العسل والسمن والمن والجبن والجوز واللوز والبندق والزبيب والتين وغرضاً من محاصيل تلك البلاد، متى لقد اعتبرت احسن مدن ذلك الأقليم. [٣]

وقد امتدح الجغرافيون العرب القدامى هذه المدينة فقالوا أنها كانت تتكون من خمس وعشرين، تتخللها البساتين التي تجري فيها المياه. وكانت مدينة مرفهة غزيرة الدخل رخيصة الأسعار

---

(١) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرادغلي بن عبد الله ت (٦٥٤ هـ) مرآة الزمان في الاعيان، تحقيق محمد بركات وآخرون ط١، دمشق (١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م).

(٢) بدوي، عبد الرحمن، علماء الفكر والحضارة العربية الإسلامية، ط٢، (بيروت – دار العلم ١٩٨٧) ج١، ص٣٢١.

(٣) بدري، علماء الفكر، ج١، ص٣٠٢.

كثيرة الأسعار كثيرة العصور حسنة البنيان، يغلب على بناءها الجص والحجر، وكانت اسواقها واسعة ويتوسطها المسجد الجامع ويحيطها سور ذو ثلاثة أبواب: باب الجبل والباب الجديد وباب الماء. كذلك يبدو من اوصاف الجرافيين القدامى، أن طبيعة جزيرة ابن عمر ونواحيها كانت في غاية الجمال، فقد اتصلت بمدن ثمانين وباسورين وفيشابور، وجميعها تقع شرقيها ويتفرع من جبل الجوري الذي تحده الاخبار الدنيا موضعاً استقرت عليه سفينة النبي نوح عند الطوفان وفي نواحي جزيرة ابن عمر قريتان جميلتان متقابلتان هما بازبدي عربي دجلة وباقردي في شرقيه وقد اندمجت بازبدي فيما بعد في جزيرة ابن عمر وقد ظل لهاتين القريتين ذكر عطر في ادبيات ذلك العصر، باعتبارهما مصيفاً جميلاً ومربعاً خصيباً غزير المياه. [٤]

في هذه المدينة الفنية الجميلة، ولد ابن الاثير وترعرع وقضى طفولته وشطراً من شبابه. ونحن ران كنا لا نملك وصفاً دقيقاً للدار التي ولد فيها لكن ما ذكر عن ابيه من الغنى والثراء، يجعلنا نميل إلى الجزم بأنه فتح عينيه في بيت مترف منيف من بيوت تلك المدينة المشيدة بالحجر والجص كان ابوه عامل الوزير جمال الدين الاصفهاني [٥] فضلاً عن ذلك كان الاب يمتلك عدة بساتين فيها في قرية (العقيمة) التي تقابل جزيرة ابن عمر على صفة دجلة الشرقية، ويمتلك أيضا قرية بأسفل الموصل تدعى بـ(قصر حرب) منها دار عي التي اجتمع منها عزي الدين ابن الاثير أكثر مادة تاريخية (الكامل) بالإضافة إلى التجارة وكانت تجارته تنقل من ما ينقل من بضائع التجار بين مصر والشام بحراً وبراً في الجزيرة والشام وفلسطين، كل ذلك بالإضافة إلى الوظيفة المالية لا بد درت عليه دخلاً كبيراً، وقد اشار مؤرخنا نفسه إلى تجارة ابيه فقال في (الباهر) ان الصليبين استولوا في سنة ٥٨٨هـ على مراكب المسلمين كانت تبحر بين مصر

---

([٤]) ابو الفدا، جمال الدين بن كثير الدمشقي، ت ٧٤٤هـ، البداية والنهاية، تحقيق: احمد ابو ملحم واخرون، ط١، (بيروت، د.ت) مج١، ص٣١١.

([٥]) جمال الدين الاصفهاني شغل منصب الوزارة في الموصل في سنة ٥٨١ هـ على جزيرة ابن عمر وهو المسؤول عن ديوان الجزيرة العام والمشرف على بقية الدواوين، راجع: الذهبي، شمس الدين محمد بن نايماز التركماني ت ٧٤٨هـ، تذكرة الحفاظ، ط٢، (مصر، مطبعة المنوفية، ١٩٩١) ج٢، ص١٥٥.

وبلاد الشام وكان لوالده فيها تجارة ذكر مرة أخرى (الكامل) ان الفرنج استولوا في سنة ٥٦٧هـ على قافلة برية للمسلمين بنواحي الخليل وكان للاسرة فيها تجارة فنهبت. [٦]

ليس لدينا معلومات عن طفولة عز الدين ابن الاثير ونشأته في جزيرة أبن عمر. لكن الواضح ان الاب حرص على تربية ابناءه الثلاثة تربية علمية عالية. وانه وفر لهم سبل الدرس والتحصيل والتفرغ بعيداً عن هموم الحياة اليومية ومتطلباتها ومشاغلها إذ ليس من المعقول ان ينبغ الاخوة الثلاثة نبوغاً ظاهراً كل في الميدان الذي تخصص فيه من المعرفة بدون أعداد علمي مسبق منذ نعومة اضفارهم وإذا اخذنا الرواية الوحيدة. وهي رواية المؤرخ اليوناني في ذيل امرأة الزمان التي تحدد انتقال الاسرة إلى الموصل في رجب سنة ٥٧٩ هـ فجد أن أبن الاثير قد استوفى جانباً كبيراً من تحصيله العلمي في مسقط رأسه، ثم استكمل هذا التحصيل وتعمق فيه في الموصل بعد انتقال الاسرة إليها كما سنرى ان مصدرنا الوحيد عن ابي الكرم محمد أثير الدين والد المؤرخ عز الدين، هو ما رواه هذا نفسه عن أبيه في كتابه الكامل والباهر ذلك ان المؤرخين اغفلوا ترجمة الاب رغم أنهم عنوا عناية واضحة بترجمة ابنائه الثلاثة وليس في هذا الأمر من عجب، ذلك ان الاب لم يشتهر كما اشتهر ابناؤه في ميدان العلم والثقافة ولم يترك وراءه مثلما ترك ابناؤه من آثار رفعت من شأنهم. [٧] كان الاب وجيه من وجهاء عصره شغل وظيفة إدارية في حكومة الزنكيين في الموصل، ولولا شهرة ابناؤه الثلاثة من مجال الفكر، ولولا ان ولده الاوسط عز الدين اشاء إليه هنا وهناك من ثنايا مؤلفيه (الكامل) و(الباهر) لربما اغفل ذكره آلاف مثله عاشوا وماتوا وانتهى دورهم نهاية حياتهم غير إن الاشارات والروايات التي اوردها ابن الاثير عن ابيه، يمكن ان ينتفع بها من بناء شخصية الاب ونشاطه إلى حد ما يقول مؤرخنا، (كان لنا في العقيمة عدة بساتين، فحكي إلى والدي قال جاءنا كتاب

---

(٦) بدوي، علماء الفكر، ص٣٠٤.

(٧) المتين، ابو اليزيد علي، تطور الفكر السياسي عند المسلمين، ط١، (القاهرة، الهيئة المصرية للطباعة، ١٩٨٦)، ص٥١.

فخر الدين عبد المسيح إلى الجزيرة، وانا اتولى حينئذ ديوانها والحكم الي فيه على ما شوهد، [٨] يأمر بأن يجعل بساتين العقيمة ممسوحة أي يجبي الخراج منها على الوحدة المساحية) فقال: فشق ذلك عليه لأجل اصحابها، ففيها ناس صالحون، ولي بهم أنيس وهم فقراء. قال افراحنا وقلت له: لا تظن انني اقول هذا لأجل ملكي، لا والله، أنما اريد ان يدوم الناس على الدعاء للمولى قطب الدين (أمير الموصل) وانا امسح ملكي جميعه. [٩] قال فأعاد الجواب بأمير الساحة ويقول تمسح أولاً ملكك يقتدي بك غرك، وإن كان دفاعه عنهم أمام الوزير فخر الدين الينا يستشف من الرضوخ الرئيسة المباشرة ولماذا تعتبر جباية ضريبة الخراج على الأرض الزراعية بالمساحة ظلماً وعسفاً؟ الحق ان الحكومات التي تعاقبت على حكم الدولة العربية الإسلامية أو حكم اقاليم منها لجأت إلى جباية طريقة الأرض على وحدة مساحتها تتضمن موارد ثابتة لبيت المال الخاص إذا كانت المقاسمة على محصول لا تؤدي إلى النتائج المطلوبة في الاوقات تدهور الزراعة وسوء الإنتاج الزراعي وليبدو لنا من نصوص أخرى ان الاب اثير الدين لم يخرج أبداً عن طاعة الزنكيين امراء الموصل والجزيرة فهو ربيب نعمتهم هم الفضل يدين لهم بالولاء ويعترف بأياديهم البيضاء عليه أو كما عبر ابنة عز الدين (رواية حسناتهم وعين الخير بحركاتهم وسكناتهم ويبدو من روايات مؤرخنا عز الدين ان أباه اثير الدين كان صاحب حظوة لدى عماد الدين زنكي عميد الاسرة الزنكية الحاكمة بالموصل وكان يستشيره ويتصل به حين لم بجزيرته امن عمر متفقداً بل وكان يستدعيه إليه كم فعل سنة ٥٤١ هـ حين كان يحاصر قلعة جعبر على الفرات قرب صفين ليأخذ رأيه من شؤون إدارية وعسكرية ومما يدل على علو مكانته اثير الدين عند عماد اليدن ما رواه ابنه المؤرخ عز الدين من كان ابنه كان شاهد عيان لحادث اغتيال عماد الدين وانه داخل خيمته اثر الاعتداء وهو في فراشه [١٠] فوجد

---

([٨]) زينوفان، جان المدخل لتاريخ الدولة العباسية، ترجمة عمد الريس، ط١ (القاهرة ١٩٧١)، ص٢١.

([٩]) المصدر نفسه، ص٢٤-٢٥

([١٠]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٣١٢.

فيه رقماً ويستطرد مؤرخنا اثر الاعتداء نقلاً عن ابيه ان هذا خاطب زنكي قائلاً ايا مولانا من فعل بك هذا حتى اقتله فلم يقدر على الكلام وختم الله له بالشهادة وقد حفظ اتباعه الموصل خلفاء عماد الدين لأثير الدين اخلاصه وولاءه فأبقوه في مركزه بل ان قطب الدين مودود احكم بين ٥٤٤ هـ إلى ٥٦٥ هـ اولاه ثقته واعتمد على حنكته واجترتيه في شؤون جزيرة ابن عمر فكان نائب على ديوانها ويبدو من رواياته الأخرى التي اوردها عز الدين عن ابيه ان هذا كان على جانب من ثقافته ودرايته ومعرفته بالاسرار الدولية وشؤونها فضلاً عن خبرته بشؤون الإدارة والمالية بسبب توليه اعماله لديوان الجزيرة ابن عمرة فترة طويلة من الزمن وخير دليل على اطلاع الاب هذا ان اغلب المعلومات المؤرخ عز الدين في (الباهر) جاءت رواية عن أبيه مصدره الأول عن الزنكيين. [١١]

لا بد ان هذا الأمر لم يأت عنواً ولا لمجرد الصدفة، وإنما كان بسبب ما توفر للاخوة الثلاثة من أدوات التعلم والتحصيل في دار الاسرة بالموصل التي كانت مجلساً علمياً يجتمع فيه وجهاء المدينة وعلماؤها ويتصدره الاب اثير الدين ويضاف إلى ذلك الموهبة الخاصة، والتأديب الموجه والتعليم الخاص على يد شيوخ وعلماء العصر الذين حفلت بهم الموصل. [١٢]

فأن مجد الدين سيء الحظ حقاً، وبعد ان خدم مدة في ديوان الرسائل من الموصل، وحظي بمكانه مرموقة لدى امرائها، الم به الشلل اقعده عن الكتابة، فانتحب الرجل من دواوين الدولة في الموصل إلى قرية الاسرة (قصر حرب) ولزم داره هناك يملى على جماعة من المتصلين به والمشتغلين بالعلم ومؤلفاته التي اشرنا إليها. وهنالك حادثة ذات دلالة رواها اخو المؤرخ عز الدين مخلصها ان طبيباً من أهل المغرب زار الاسرة ووقف على مرض مجد الدين فأبدى

---

([١١]) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص١٥٥-١٥٦.

([١٢]) صبحي، احمد محمود، بحوث في تاريخ الاسلام العباسي، ط١، (بيروت، دار القلم، ١٩٩٦) ص٤٦.

استعداده لشفائه دون ان ينال امراً إلا بعد اتمام الشفاء بدأ الرجل يعالج مرضه بمرهم اعده بنفسه. [١٣]

ب- الحياة الثقافية:

استعادت الموصل نشاطها العلمي في العصر الاتابيكي، وراجت سوق الفكر والادب في المساجد، ومجانية التعليم والثقافة، ومما ساعد على ذلك وفرة المدارس، وانتشار حلقات الدرس في المساجد، ومجانية التعلم، والأمن والرفاه الذين عما البلاد، اضف إلى ذلك تشجيع الدولة لحركة التعليم فقد اشتهر هؤلاء الامراء بحبهم للعلم وتشجيهم له ولاهله، فشيدوا الكتاتيب وعززوا هذا الأمر بالنهضة العلمية بما اغدقوه على العلماء من الهبات الوافرة، والعطايا الكثيرة وبما كانوا يقدمونه من التسهيلات لطلال العلم الذين يدرسون في مدارسهم، فلكل مدرسة اوقات مختلفة تصرف على اداواتها وخزانة كتبها، والنفقة التامة على من يدرس فيها ويدرس من الطلاب فلهم السكن والطعام والكسوة والكتب، وكل ما يحتاجون إليه حتى يتخرجوا منها. [١٤]

فأتابكته وان كانوا من غير العرب كما قدمنا، ولم يمنعهم ذلك من تشجيع العلوم ورعاية الآداب العربية فقد نشؤوا في بلاد عربية اسلامية، فاعتنقوا دين اصلها وتأدبوا بآدابهم، وتثقفوا بثقافتهم، فكانوا عرباً مسلمين في الثقافة والدين.

وشجعوا العلماء والأدباء واهل الفنون، وأصبحت الموصل في ايامهم (قبلة العلماء والادباء والشعراء والقراء والمحدثين وأصحاب الفنون وقلة ما نجد ملكاً منهم لم يؤسس معهداً علمياً في الموصل وغيرها من البلاد التابعة لهم وقد سار على ذلك رجال دولتهم حتى بلغ عدد المدارس ٢٨ مدرسة و١٨ دار للحديث و٢٧ خانقاماً للصوفية إلى جانب الكتاتيب، وكان من أبرز معاهد الثقافة في العصر الاثابيكي.

---

([١٣]) بدر الدين، اميمة رشيد، ابن الاثير المحدث، ط١، (لبنان- ٢٠١٤)، ص٢٤.

([١٤]) رينوفان، جان، المدخل، ص٣٧.

المدرسة الاتابكية العتيقة التي انشأها سيف الدين غازي بالموصل، وكانت وقفاً على الفقهاء الشافعية والحنفية نصفين، ومن أشهر اساتذة هذه المدرسة هو (ابو البركات عبد الله الحسيني المعرف بأبن الشريجي ت ٥٧٤ هـ الذي درس على العالم ابن شداد وعبد السلام بن محمد ظهير الدين الفارسي ت ٥٩٦ هـ ومدرسة الجامع النوري وتنسب إلى محمود بن دنيكي ودرس فيها المذهب الشافعي فكان نور الدين محمود يعظم العلماء ويحترمهم ويجمعهم عند الحث فقصده العلماء من البلاد الشاسعة وكان امراؤه يحسدونهم على منزلتهم عنده.

المدرسة العزية: وتنسب إلى عز الدين مسعود (ت ٥٨٩ هـ) انشأها تجاه دور المملكة، وكانت وقفاً على الفقهاء الشافعية الحنفية، ووصفها ابن فلكان بأنها (احسن المدارس) [١٥]

المدرسة النورية: بناها نور الدين ارسلان الأول (ت ٦٠٧ هـ) وقال ابن الاثير من محاسن اعماله المدرسة التي انشأها بباطن الموصل (مقابل دار المحكمة) وهي من احسن المدارس، ووقف عليها الوقوف الكثيرة، وجعلها وقفاً على ستين فقيهاً من الشافعية، سوى ما فيها من الصدقات والتعهدات للصوفية والفقرات. [١٦]

المدرسة القاهرية: انشأها الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان (ت ٦١٥) واول من درس فيها كمال الدين بن يوسف بن منعه (ت ٦٣٩ هـ) ولم يقتصر بناء المدارس والمعاهد على الملوك الاتابيكه فحسب بل سار على هذا النهج عدد كبير من كبار الدولة الاتابيكية فأحسنوا المدارس والربط في الموصل وخارجها منهم زين الدين علي بن بكتكين (ت ٥٦٣ هـ) الذي أسس المدرسة الزنية، كما شيد مجاهد الدين قيماز مدرسة للشافعية، إضافة إلى الربط التي انشئت في الموصل والتي كان لها أثر كبير في نشر الثقافة والعلوم الدينية وكانت مواضع

---

(١٥) ادهم، علي احمد، بعض مؤرخي الإسلام (دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية)، ط١، (بيروت، دار الفكر ١٩٩٥)، ص٣٢٤.

(١٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج، ص ٣١٧.

للتأليف والتصنيف والإقراء والتثقيف والايجاز والمحاضرات، وكان لخزائن الكتب فيها خدام يتولون خزنها وصيانتها ومناولتها وترتيبها، وكان هذا الربط بمثابة منازل للعلماء الراحلين من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر في طلب العلم أو نشره، ولم يكن ابن الاثير بعيداً عن هذه الحركة العلمية فقد أسهم في هذا الأمر وبنى رباطاً في درب دراج، اتخذها مدرسة يدرس فيها ووقف املاكه عليها، كما بنى رباط قصر حرب الذي وجدت فيه حركة علمية فعكف الطلاب على ابن الاثير يدرسون ويحققون، وهم مكفولون في الرباط ينفق عليهم مما اوقفه أبو السعادات، وفيه ألف ابن الاثير معظم كتبه، كما جمع اخوه معظم كتابه (الكامل) فيه قال ابن الاثير (وعنده يومنا هذا قرية لنا ملكاً فبنينا رباطاً للصوفية ووقفنا عليه القرية، وقد جمعت كثيراً من هذه الكتب في هذه القرية وفي دار لنا فيها وهي من انزجه المواضع واحسنها. [١٧]

ومن المنشآت الدينية الأخرى التي ساهمت في نشر العلوم الدينية دور الحديث وهي مؤسسات علمية كانت تدرس فيها اقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وافعاله واحواله من حيث الرواية، واتصال الأحاديث بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واحوال رواتها، إضافة إلى المساجد الكثيرة التي انشأها الاتابكه في جميع انحاء البلاد، التي كان لها الاثر الكبير في تطور الحركة العلمية وتقدمها مع هذه النهضة العلمية اشتهرت الموصل ببعض الاسر العلمية بمختلف العلوم ومن هذه الاسر اسرة ابن الاثير، واسره ابناء يونس ابن منعه ومن علماء المذهب الشافعي، واسرة ابناء هبل [١٨] وابناء راجو، وابناء النقيب، إضافة إلى مجموعة أخرى من العلماء الذين اشتهروا في الطب درسوه ومارسوه عملياً من البيمارستانات التي كانت تعالج المرضى مجاناً مما تقدم نلحظ التطور العلمي والاجتماعي والعمراني في الموصل، مما يلحظ اثر اسرة ابن الاثير واهميتها ومشاركتها في الحياة السياسية والحركة العلمية، فبنت الاربطة

---

([١٧]) صحي، احمد محمود، بحوث، ص٥٩-٦٠

([١٨]) بدر الدين، اجمي رشيد، ابن الاثير، ص٢٥.

ووقفت الوقوف لها ودرست فيها، وكانت إحدى الاسر العملية المشار إليها في منطقة الموصل يوم ذلك. واصبح من المصور لنا بعد وضع ابن الأثير في إطاره السياسي والاجتماعي والعلمي ان نبدأ بدراسة حياته بالتفصيل ومن ثم دراسة مؤلفاته ومعرفة أدائه وافكاره. [١٩]

([١٩]) ادهم، علي احمد، بعض مؤرخي الإسلام، ص٣٢٥.